وما قدروا الله حق قدره

وقفات مهمة

لتعظيم الله جل جلاله

د. عبدالرحمن بن سعيد الحازمي



وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ

وقفات مهمة لتعظيم اللّه جل جلاله

إعداد

د.عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله العلي الأعلى، المتفرِّد بالجلال والكمال، الذي خلق فسوى، وقدّر فهدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن تعظيم الله تعالى أساس متين يقوم عليه التوحيد، وروح العبودية، ومفتاح صلاح القلوب والأعمال، وكلما ازداد العبد تعظيمًا لربه سبحانه، ازداد قربًا منه، وحياءً منه، وخوفًا من مقامه، وامتثالًا لأمره، وانزجارًا عن نهيه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ**﴾[1] في آية تُحذِّر من الغفلة عن حقيقته وعظمته جلّ وعلا.

ولما رأيت الحاجة الماسّة إلى تذكير القلوب بجلال الله تعالى وعظمته، جمعت هذه الصفحات التي كنت قد نشرتها سابقاً في موقع الألوكة المبارك، في ثلاث مقالات متتابعة تحت عنوان: (**ملامح تربوية مستنبطة من قول**

---

(١) الزمر: ٦٧.

الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[(١)]، فرأيت أن أجمعها في كتاب مستقل بعنوان جديد، وهو: (﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ**﴾ .. **وقفات مهمة لتعظيم الله ﷻ**)، عساه أن يكون مفتاحًا للقلوب إلى باب تعظيم الله ﷻ، وموقظًا للغافلين.

وهذا الكتاب دعوة صادقة من عبد فقير إلى الله تعالى ولمحتواه أحوج من غيره لإعادة النظر في علاقتنا بالله ﷻ، وفي تعظيمنا له سبحانه أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعباد الله الصالحين من السلف والخلف، وبعيداً عن الغفلة التي توقع الإنسان في متاهات المعاصي والذنوب، وقد يصل في تماديه إلى أبعد من ذلك والعياذ بالله تعالى.

---

(١) الزمر: ٦٧.

أسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفع بهذا الجهد المتواضع كاتبه وقارئه، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وسببًا لتعظيمه في القلوب، ومفتاحًا للهداية والنور.

وصلى الله على نبينا مُحَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

د.عبد الرحمن سعيد الحازمي

مكة المكرمة

غرة ذي الحجة عام ١٤٤٦هـ

تعظيم اللّه جل جلاله

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[(١)].

تمهيد:

إن الحديثَ عن تعظيم الله تعالى حق تعظيمه، وتقديره حق قدره بحرٌ لا ساحل له، وخطى في طريق لا منتهى لمداه، ذلك لأن مقام تعظيم الله جلّ في علاه أساس كل عمل صالح، ولا تستقيم عبادة، إلا بمقدار ما وقر في النفس من تعظيم للرب سبحانه.

ولا يساورني أدنى شك البتة بأني لن أوفي الموضوع حقه من عرض بعض الوقفات المهمة التي تُعين على تعظيم الله ﷻ لضعفي وتقصيري وقلة بضاعتي، ولكن في الوقت ذاته شرف لي وفخر لا يدانيه فخر أن قدحَ في ذهني البدء في كتابة هذا الموضوع المهم، ووجدت معونةً وتيسيراً وتوفيقاً في تناوله بجهد المقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فاللهم لك الحمد كما تحب

---

(١) الزمر: ٦٧

وترضى، وأسأله بمنه وكرمه وإحسانه أن يسددني ويجعله خالصاً لوجهه وابتغاء مرضاته.

بداية؛ هناك آيتان أخريان تتشابهان مع موضوع الكتاب: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِ**﴾، وهما:

الأولى: قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ**﴾[1].

قال ابن باز رحمه الله: "والآية عامّة، تَعمّ قريشًا وغيرهم، كل مَن قال هذه المقالة: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ**﴾ تَعمّ جميع الكفرة الذين قالوا هذه المقالة من قريشٍ وغيرهم، ما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه، وما قدروه حقَّ قدره إذ اتَّهموه بأنَّه أهمل الناس، وترك الناسَ على ضلالهم وعماهم من غير رسلٍ ولا كتبٍ، بل هذا

(١) الأنعام: ٩١.

من ظن السّوء؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾"[١].

الثانية: قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

قال البغوي رحمه الله: "﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظموه حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته إن أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾"[٣].

---

(١) شرح تفسير ابن كثير، تفسير سورة الأنعام، موقع الإمام ابن باز رحمه الله.

(٢) الحج:٧٣-٧٤.

(٣) تفسر البغوي (٥/ ٤٠٠).

أقوال العلماء في تفسير الآية موضوع الكتاب:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قوله: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾؛ قال: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حقّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك، فلم يقدر الله حقّ قدره"(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: "وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكلُّ شيء تحت قهره وقدرته"(٢).

وقال ابن باز رحمه الله: "هذه الآية العظيمة تبين عِظَم قدرته، وأنه الخلاق العليم، وأنه يطوي السماوات ويقبض الأرض، فدل ذلك على عِظَم قدرته، ومن كان بهذه المثابة فهو حري بأن يُعْبَد ويطاع ويعظّم، وهو الذي له الكمال في أسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له، ولا ند له، ولا يقاس

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠١).

بخلقه، فالله جل وعلا له الصفات العليا والأسماء الحسنى، وهو سبحانه الخلاق الرزاق، وهو سبحانه أيضا المستحق للعبادة[١].

(١) شرح كتاب التوحيد، باب: قول الله تعال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، موقع الإمام ابن باز رحمه الله.

وقفات مهمة لتعظيم الله جل جلاله

الوقفة الأولى: الحذر من الجهل بعظمة اللّه تعالى

الجهلُ بوحدانية الله عز وجل وقدرته وعظمته من أعظم الجهل، حتى لو كان أعلم أهل الأرض بعلوم الدنيا وفنونها، ولم يتعرف على الله تعالى، فلا ينفعه ذلك، فالإنسان بجهله لمعرفة الله يصبح تائهاً حائراً، وقد يجد الشيطان فرصةً سانحةً لإغوائه بالكلية، حتى يؤدي به للكفر والعياذ بالله، وهذا هو الهدف الأساس الذي يسعى إليه شياطين الجن والإنس، فالحذر ثم الحذر من الجهل بعظمة الله وقدرته، فهي طريق ممهد للضلال والإضلال، والبِدار ثم البِدار في العناية التامة بأخذ الوسائل المتاحة، وما أكثرها! لمعرفة عظمة الله تعالى وتقديره حقّ قدره من أهل العلم الثقات المعروفين بالصلاح والتقوى.

ولابن القيم رحمه الله كلاماً مهماً عن معرفة الله تعالى إذ قال: "فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب سبحانه في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمّ الله تعالى من لم يعظمه حقَّ عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته؛ قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

وَقَارًا﴾[١]، ثم بين رحمه الله معنى الآية عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم، فقال: لا ترجون لله عظمة، ثم قال سعيد بن جبير رحمه الله: ما لكم لا تُعظمون الله حقَّ عظمته، وختم رحمه القول بأن: روح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت"[٢].

هناك مثال واضح يردده الدعاة والمصلحين في محاضراتهم ودروسهم لأبيات شعرية منسوبة للشاعر: "إليا أبو ماضي" توضح مدى الضياع والحيرة التي عاشها، ولا شك أن مرد ذلك الجهل المطبق بمعرفة الله عز وجل، إذ قال:

جِئتُ لا أَعلَمُ مِن أَين وَلَكِنّي أَتَيتُ
وَلَقَد أَبصَرتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيتُ
وَسَأَبقى ماشِياً إِن شِئتُ هَذا أَم أَبَيتُ
كَيفَ جِئتُ كَيفَ أَبصَرتُ طَريقي لَستُ أَدري[٣].

---

(١) نوح: ١٣.

(٢) مدارج السالكين، (٢/٣٦٣-٤٦٤).

(٣) إليا أبو ماضي؛ شاعر لبناني من شعراء المهجر، ت:١٩٥٧م.

وهذه الأبيات تصور مدى ضياع الإنسان عندما يجهل عظمة الله تعالى، فإنه يعيش حالة من التيه والشقاء، فمن لم يهتدِ بنور الله فماله من نور، وصدق الله العظيم: ﴿**وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ**﴾[١]، قال ابن كثير رحمه الله: "من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر، كما قال تعالى: ﴿**مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ**﴾[٢]"[٣]، وجميل مقولة: "من وجد الله فماذا فقد، ومن فقد الله فماذا وجد"، وكذلك مقولة: "من عرف الله تفانى في عبادته، ومن لم يعرف الله تفنن في عصيانه".

---

(١) النور: ٤٠.

(٢) الأعراف: ١٨٧.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٦٦).

الوقفة الثانية: التعرف على أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى

طريقٌ لمعرفة الله وتعظيمه

من أعظم أبواب تعظيم الله تعالى: معرفته بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، فذلك من أقوى المداخل لترسيخ تعظيمه في القلب، وتزكية النفس بالإيمان به، وقد بيّن ابن القيم رحمه الله أهمية هذا الباب فقال: "وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة باريها وفاطرها، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلَمَ، كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر، كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد"[(١)]، فبقدر ما يعظم العبد ربه في قلبه، ويتفكر في معاني أسمائه وصفاته، يكون إيمانه أقوى، وتعظيمه أتمّ، وخشيته أصدق.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، (١/ ٦-٧).

الوقفة الثالثة: الرجوع إلى كلام أئمة أهل السنة والجماعة في شرح الأسماء والصفات

إن نصوص الأسماء الحسنى والصفات العُلى جاءت مبثوثة بشكل واسع في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد اعتنى العلماء الربانيون بشرحها وبيان معانيها شرحاً دقيقاً مؤصلاً وفق الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة الصالح رحمهم الله، قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ**﴾[١]، وقال ﷺ: "إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ"[٢]، قال ابن باز رحمه الله: "هذا من أحاديث الوعد، من أحاديث الفضائل، وفيه حث على العناية بأسماء الله، وتدبرها حفظًا وإحصاء؛ حتى يستفيد من هذه المعاني العظيمة، وحتى يكون هذا من أسباب خشوعه لله، وطاعته له، والقيام بحقه سبحانه وتعالى، وهي من أسباب دخول الجنة لمن حفظها، وأدى حق الله، ولم يغْشَ الكبائر، أما من

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: (٢٧٣٦)، صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٦٧٧).

غشي الكبائر من المعاصي؛ فهو معرضٌ لوعيد الله، وتحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة"[١].

وإنني أؤكد جازمًا أن العناية بكلام أهل العلم الثقات من أهل السنة والجماعة في هذا الباب، من أعظم أسباب تعظيم الله تعالى على بصيرة، ومن أقوى وسائل السلامة من الانحراف في فهم أسماء الله وصفاته وتأويلها على غير مراد الله ﷻ.

(١) فتاوى نور على الدرب، جمعها ورتبها محمد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، المكتبة الشاملة.

الوقفة الرابعة: من أعظم التوفيق معرفة اللّه تعالى

إن من توفيق الله تعالى للعبد دلالته للخير مطلقاً، ومن أعظم التوفيق وأجل المنن أن يعرف ربَّه عز وجل؛ لأن ذلك مدعاةٌ للقرب منه ومناجاته في كل وقت وحين، وليعلم المسلم أنه كلما ازداد عناية ومعرفة بالله تعالى زاد إيمانه وارتقى، وكلما زاد إيمانه وارتقى زاد تعظيمه لله، وكلما زاد تعظيمه لله زادت عبوديته، وهذا هو عين السعادة، وأصل الفلاح، فالعلاقة بين المعرفة بالله تعالى وتعظيمه علاقة طردية؛ كلما عرفه حق المعرفة، عظّمه حق التعظيم، ومن ثم كملت عبوديته، وبلغ الغاية التي خُلق لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

فليحرص المؤمن على تعهد قلبه بمعرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وتدبر أفعاله في خلقه، فإن ذلك مفتاح لكل خير، وباب لكل توفيق.

---

(١) الذاريات:٥٦.

الوقفة الخامسة: تعظيم الله أصل الخشية الصادقة

إذا تمكن تعظيم الله تعالى في قلب العبد امتلأ قلبه خشية منه ومهابة له، فهناك تلازم قوي بين تعظيم الله تعالى وبين خشيته سبحانه، فمن عَظَّم الله حق عظمته كانت خشيته في السر كخشيته علانية، بل قد يكون في سره متذللاً منكسراً من شدة خشيته ولا يُظهر ذلك أمام الناس خشية الرياء، ولذلك ذم الله تعالى الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون منه سبحانه عند ارتكاب المحرمات، فهم أشد خشية للناس من الله تعالى المطلع على سرائرهم وعلانيتهم، قال تعالى: ﴿**يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا**﴾[١].

قال السعدي رحمه الله: "وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله

(١) النساء:١٠٨.

بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم، وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم"[١].

فالمؤمن الصادق يخشى الله في سره أعظم من خشيته له في علانيته، لأنه يستحضر عظمة الرب وجلاله، فيراقبه مراقبة المحب الموقّر، لا فقط الخائف من العقوبة.

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٠٠).

الوقفة السادسة: الخشية الصادقة لا تكون إلا بعلم وبصيرة

من فضل الله وكرمه وإحسانه بعباده أنهم إذا حققوا الخشية له سبحانه، فقد أعد لهم ما لا يُحصى من الخير والفضل العظيم، قال تعالى: ﴿**وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[١]، قال ابن عثيمين رحمه الله: "وقوله: ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**﴾، ﴿**مَنْ**﴾ هذه بدل مما سبقها، ﴿**خَشِيَ الرَّحْمَنَ**﴾ أي: خَافَهُ عن علم وبصيرة؛ لأن الخشية لا تكون إلا بعلم، الدليل، قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٢]، فهي خشية، أي: خوف ورهبة وتعظيم لله عز وجل؛ لأنها صادرة عن علم، والخشية لها معنيان؛ المعنى الأول: أنه خشي الرحمن مع أنه لم يَرَهُ، لكن رأى آياته الدالة عليه، والمعنى الثاني: خَشِيَهُ بالغيب، أي: بغَيْبَتِه عن الناس،

---

(١) ق: ٣١-٣٥.

(٢) فاطر: ٢٨.

يخشى الله وهو غائب عن الناس؛ لأن من الناس مَن يخشى الله إذا كان بين الناس، وأما إذا انفرد فإنه لا يخشى الله"[1].

(١) لقاء الباب المفتوح، لقاءت كان يعقدها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في بيته كل خميس من عام ١٤١٢هـ إلى عام ١٤٢١هـ، المكتبة الشاملة، (١٣٧/٥).

الوقفة السابعة: من مظاهر التعظيم امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه

إن من أوضح مظاهر تعظيم الله تعالى: امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فكل من عظّم الله في قلبه، عظّم شريعته، ووقّر شعائره، ولم يَقْدُم على أمر إلا وقدّم رضا الله فيه، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ**﴾[١]، قال ابن كثير رحمه الله: "﴿**وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ**﴾، أي : أوامره، ﴿**فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ**﴾"[٢]، وقال السعدي رحمه الله: "تعظيمُ شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يُبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمَها، تابع لتعظيم الله وإجلاله"[٣].

فمن دلائل تعظيم الله الظاهرة: تعظيم شعائره في العبادات، وتعظيم أوامره في المعاملات، وتعظيم نواهيه بالابتعاد عنها في كل الأحوال، ومن تعظيمه أن يُعظّم أمره في العلن والسر على حد سواء.

---

(١) الحج:٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥٣٨).

الوقفة الثامنة: تعظيم الله سببٌ للخشوع في الصلاة ووقاية من كيد الشيطان

إن من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ﷻ الصلاة، وهي صلة بين العبد وخالقه عز وجل، وعنوان الخضوع والذل له سبحانه، وهي أحب الأعمال إلى الله، وأشد ما يحرص الشيطان على صدّ الناس عنه، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾[١]، ولما كانت الصلاة محلاً لذكر الله تعالى وتعظيمه، كانت الخشية والخشوع روحها ولبّها، ومن أعظم أسباب الخشوع فيها: تعظيم الله في القلب، فمن عظم الله حقاً، خضع له باطناً وظاهراً، وخشع قلبه وسكنت جوارحه، وقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة ببيان الوسائل المناسبة لصد كيد الشيطان ووسوسته في سائر العبادات وفي الصلاة تحديداً، قال تعالى: ﴿**وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ**﴾[٢]، قال البغوي رحمه الله: "وأصل الخشوع السكون؛ قال الله

(١) المائدة: ٩١.

(٢) البقرة: ٤٥.

تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[١]"[٢]، فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى، وقال السعدي رحمه الله: "إن الخشوع، وخشيةَ الله ورجاء ما عنده يوجب له فعلها منشرحاً صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه"[٣].

وكلما زاد الإنسان تعظيماً لله تعالى وإخلاصاً له زاد خشوعاً في صلاته وانصرف الشيطان عنه، وكانت له نوراً في حياته كلها، وعاش معها وبها راحة واطمئناناً، وصدق الله العظيم: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٤]، قال الشنقيطي رحمه الله: "ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الشيطان لما توعد بأنه سيضل أكثر بني آدم، استثنى من ذلك عباد الله المخلصين، معترفاً بأنه لا قدرة له على إضلالهم"[٥].

---

(١) طه:١٠٨.

(٢) تفسر البغوي (١/ ٩٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٥١).

(٤) الحجر: ٣٩-٤٠.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢٧٧).

الوقفة التاسعة: القرآن الكريم طريق التعظيم وأساس الهداية

تُعدّ العلاقة بين تعظيم الله وتعظيم كلامه أوثق ما يكون، إذ لا يُعظِّم المرء ربَّه حق تعظيمه حتى يوقّر كتابه، ويستسلم لما فيه من أوامر ونواهٍ، ويتدبره ويعمل به، فتعظيم القرآن الكريم هو وجه من أعظم وجوه تعظيم الله تعالى، لأنه كلامه سبحانه، وأعظم كتبه، وآخرها عهدًا بالناس، وأشملها للهُدى، وأكملها بيانًا للحق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾[1]، قال الشنقيطي رحمه الله: "ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين جلَّ وعلا يهدي للتي هي أقوم، أي: الطريق التي هي أسد وأعدل وأصوب، وأقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله، وهذه الآية الكريمة أجمل الله جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، لو تتبعنا تفصيلها

(١) الإسراء: ٩.

على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم، لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة[١].

ويتجلى تعظيم الله تعالى في التعامل مع كتابه في وجوه متعددة، منها:

الاستسلام لأوامره ونواهيه؛ فالمؤمن الحق إذا سمع أمرًا من الله في القرآن، قال: "سمعنا وأطعنا"، ولا يقدِّم بين يدي الله ورسوله، والتوقير الظاهري والباطني؛ ومنه تعظيم المصحف، وتلاوته بتخشع، وتجنب الغفلة في قراءته، وتقديمه على كلام البشر كافة، والعمل به في ميادين اللحياة كلها؛ وهذا هو جوهر التعظيم؛ أن يكون القرآن الكريم مرجع المسلم في نظره، وسماعه، وسلوكه، وحكمه.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ١٧).

١:١٩ م

الوقفة العاشرة: المتقون هم أهدى الناس بالقرآن وأعظمهم انتفاعاً به

إنَّ القرآن الكريم هدايةٌ من الله ورحمة، وفيه خير عظيم، لكن ليس كل الناس يستفيدون من نوره وهدايته، فقد خصّ الله تعالى بالانتفاع به جماعةً من عباده وهم أهل التقوى، كما قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[١]، قال الطبري رحمه الله: "والقرآنُ هدًى للمتقين، وشفاءٌ لما في صدور المؤمنين، وَوَقْرٌ في آذان المكذبين، وعَمىً لأبصار الجاحدين، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين، فالمؤمن به مُهتدٍ، والكافر به محجوج"[٢]، وقال السعدي رحمه الله: "في نفسه هدى لجميع الخلق، فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً، ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقائهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع"[٣].

---

(١) البقرة:٢.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٢٣٠).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٤٠).

فالتقوى هي المفتاح الذي يُفتح به باب الانتفاع بالقرآن الكريم، ومتى زُرعت التقوى في القلب، أثمرت نورًا ويقينًا، وجعلت القرآن غذاءً للروح، ودواءً للقلوب، وسببًا في الهداية والثبات، كما قال الله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾[(١)]، فالانتفاع بالقرآن ليس باللسان فقط، بل بحضور القلب، وخشية الرحمن، وتعظيم أوامره، والعمل به، وكل ذلك من صفات المتقين.

---

(١) الإسراء: ٨٢.

الوقفة الحادية عشرة: إعجاز القرآن الكريم

سبيلٌ لمعرفة اللّه وتعظيمه

القرآن الكريم هو أعظم كتاب نزل من السماء، وهو من أظهر الدلائل على عظمة منزِّله جلّ جلاله، وقد تضمّن وجوهًا متعددة من الإعجاز التي تدلّ على كمال علم الله، وحكمته، وقدرته، وربوبيته، ولذلك، فإنّ التأمل في إعجاز القرآن الكريم هو من أعظم ما يورث معرفة الله وتعظيمه في القلوب.

ويُعد القرآن الكريم رافداً مهماً لبيان عظمة الله تعالى؛ لما يتضمن من وجوه الإعجاز المتنوعة، وقد عني العلماء قديماً وحديثاً ببيان أوجه الإعجاز في هذا الكتاب المعجز، وتعدّدت أقوالهم في تصنيفها، وأشار الدكتور مصطفى مسلم إلى أن أبرز هذه الأوجه يمكن حصرها في أربعة محاور رئيسة:

- الإعجاز البياني.
- الإعجاز العلمي (التجريبي).
- الإعجاز التشريعي.

- الإعجاز الغيبي[١].

وكلّ وجهٍ من هذه الوجوه هو طريق إلى تعظيم الله سبحانه، لأنه يكشف عن جانب من صفاته العليا وكماله المطلق، فمن تدبر إعجاز القرآن ازداد يقينًا بأنّ هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من كلام البشر، بل هو وحيٌ من رب العالمين.

وعليه، فإنّ من وسائل تعظيم الله تعالى أن يعتني المسلم بدراسة وجوه الإعجاز في القرآن، من خلال ما كتبه أهل العلم الثقات، ليزداد علمًا بربه، وخضوعًا لعظمته، وإيمانًا بكمال شريعته.

(١) مباحث في إعجاز القرآن، (ص ١١٣).

الوقفة الثانية عشرة: تدبر القرآن سبيل إلى نيل بركته وهدايته

القرآن الكريم ليس مجرد ألفاظٍ تتلى، بل هو كتاب هدايةٍ وحياة، أنزله الله تعالى ليكون سببًا في سعادة العبد وصلاح دنياه وآخرته، ومن أعظم أسباب الانتفاع به ونيل بركته: تدبر آياته وتأمل معانيه، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ**﴾[١]، وهذا وعد من الله بأن من أخذ بهدايته المتمثلة في القرآن العظيم والسنة الشريفة فإنه محفوظ من الضلال في الدنيا، ومن الشقاء في الآخرة، قال ابن باز رحمه الله: "وهدى الله هو ما دل عليه كتابه العظيم القرآن وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام من فعل الأوامر، وترك النواهي، وتصديق الأخبار التي أخبر الله بها ورسوله، والإقامة عند حدود الله، وعدم تجاوزها، هذا هو الهدى"، ومن توجيهات القرآن الكريم في الحث على تدبر القرآن، قوله تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ**﴾[٢]، قال السعدي رحمه الله: "فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته

---

(١) طه:١٢٣.

(٢) ص: ٢٩.

وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال"[١].

فالتدبر ليس غايةً في ذاته فقط، بل هو وسيلة لتحصيل البركة، وزيادة الإيمان، ونيل البصيرة، واستشعار عظمة الله تعالى، وتربية القلب على خشيته ومحبته، ومن لم يتدبر القرآن، فقد فاته الخير العظيم، وحُرم من أعظم أبواب تعظيم الله ومعرفته.

ولهذا، فإن تدبر القرآن وتأمل معانيه عبادة قلبية عظيمة، تدل على حياة القلب، وحضور العقل، وسلامة الفطرة، وهو طريق المؤمنين الصادقين في طلب القرب من ربهم وتعظيمه حقّ تعظيمه.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٥).

الوقفة الثالثة عشرة: الربط بين أسماء الله الحسنى وخواتيم الآيات يُعمق تعظيم الله تعالى

من أعظم وجوه تعظيم الله في القرآن الكريم، ومن أعمق أبواب التدبر التي تهزّ القلوب وتبهِر العقول: الربط البياني والمعنوي المبهر بين مضامين الآيات وخواتمها من أسماء الله الحسنى.

فهذا الربط ليس مجرد تزيين لفظي أو ختام بلاغي، بل هو مفتاح لفهم معاني الآيات، وتعظيم الرب العظيم، إذ يربط بين أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا ومقتضى أفعاله وأحكامه في خلقه وأمره، مما يجعل القارئ أكثر خشية، ويقينًا، ووعيًا بجلال الله وكماله.

قال السعدي رحمه الله: "وهذا باب عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجلّ المعارف وأشرف العلوم، فتجد آية الرحمة مختومةً بصفات الرحمة، وآيات العقوبة والعذاب مختومة بأسماء العزة والقدرة والحكمة والعلم والقهر، ومن الأمثلة؛ قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾[1]، فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي

---

(١) الملك:١٤.

عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد: من أكبر الأدلة العقلية على علمه، فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟"[١].

إن تدبّر هذا الباب يزيد العبد معرفةً بربه، وتعظيمًا له، وخشيةً من جلاله، ورجاءً في رحمته، ومن لم يتأمل هذه الروابط، فاته من تعظيم الله في كتابه شيءٌ كثير.

(١) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، (ص: ٥٣).

الوقفة الرابعة عشرة: التفكر في قدرة الله وآيات خلقه سبيل لتعظيمه ومعرفته

إن من أعظم الوسائل التي تُورث في القلب تعظيم الله تعالى: التفكر في مخلوقاته وآيات قدرته، فإن آثار عظمة الله وبديع صنعه ظاهرة في كل ما حول الإنسان من سماوات وأرض، ليل ونهار، حياة وموت، ماء ونبات، وقد حث الله تعالى عباده للتفكر في خلقه وآياته، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[١]، قال السعدي رحمه الله: "وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: "**لَأَيَٰتٍ**" ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيِّرة على جميع المطالب الإلهية، وواصل رحمه الله البيان في ذلك إلى أن قال: وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم"[٢].

---

(١) آل عمران: ١٩٠.

(٢) تفسير السعدي (ص: ١٦١).

فمن تأمل في السماوات وامتدادها، وفي الأرض واستقرارها، وفي تعاقب الليل والنهار، أدرك أن هذا الكون العظيم لا يمكن أن يكون إلا من صنع الإله العظيم القادر الحكيم، وكلّ ذلك يورث في القلب تعظيمًا لله، وخشية له، وحبًا وإجلالًا، وهو الغاية العظمى من التفكر.

ولذا كان التفكر في آيات الله الكونية من أهمّ أبواب العلم بالله ومعرفته، ووسيلة إلى زيادة الإيمان وتعظيم الرب سبحانه وتعالى في النفوس، وهو علامة على حياة القلب ويقظة العقل.

الوقفة الخامسة عشرة: آيات الآفاق والأنفس

دليل قاطع على توحيد الله وعظمته

من أعظم السبل التي تُعين على تعظيم الله تعالى وتوحيده: النظرُ والتأملُ في آياته في الكون، والتفكرُ في بديع صنعه في النفس والخلق، فكل ما في الوجود من دقائق الخلق وعجائب الإتقان ينطق بوحدانية الله، ويدل على عظمته وكمال قدرته وحكمته، وصدق القائل:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

قال تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾(٢)، فهذه الآيات الإلهية في الكون والأنفس، من شمسٍ وقمرٍ، وليلٍ ونهار، وبحرٍ وجبال، وكذلك ما في النفس من دقة في الخلق وبديع في التكوين، ليست عبثًا ولا صدفة، بل هي دلائل عقلية تُوقظ القلب وتُرشد العقل إلى عظمة الخالق ووحدانيته ﷻ، قال

(١) النمل: ٩٣.

(٢) فصلت:٥٣.

القرطبي رحمه الله: "أي: علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الآفاق، يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، أولم يكفهم ربك بما دلهم عليه من توحيده؛ بأنه على كل شيء شهيد"[1].

فالعبد المتفكر في هذه الآيات يزداد يقينًا وإيمانًا، ويتولد في قلبه تعظيم لله وخشوع له، لأنه يرى في كل ذرة في الكون بصمة الخالق، وفي كل تفصيل من جسده دليلًا على علم الله ولطفه وقدرته.

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٤)، بتصرف.

الوقفة السادسة عشرة: الدعاء من مظاهر تعظيم اللّه ودليلُ صدق الإيمان

من أعظم صور تعظيم الله سبحانه وتعالى والافتقار إليه: الدعاء، وهو في حقيقته لبُّ العبادة وخلاصتها؛ كما قال ﷺ: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ"(١)، فحين يرفع العبد يديه إلى السماء، مستشعرًا فقره، موقنًا بقدرة ربه، فإنه يُظهر بذلك تعظيمه لله، واعترافه بكمال قدرته وعلمه ورحمته.

والعناية بالدعاء ليست مجرد عادة يُؤتى بها في الشدائد، بل هي علامة إيمان حيّ، وقلب خاشع، ونفس متصلة بالله عز وجل، تدرك أن قضاء الحوائج بيده وحده، وأن مطالب الدنيا والآخرة والتوفيق إليهما لا يُنال إلا بسؤاله، ومن كمال التعظيم أن يدعو العبد ربه سبحانه أن يرزقه خشية الله وتعظيمه في السر والعلن، ومن دعاء النبي ﷺ قوله: "وأسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشَّهادة"(٢)، فما أعظم أن يستشعر المسلم هذا المقام، فيسأل ربه الخشية والخوف منه، لا في حضرة الناس فحسب، بل حيث لا يراه إلاّ الله، وذلك من أعظم دلائل الإيمان والتعظيم والحياء من الله عز

(١) الألباني، صحح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب: فضل الدعاء، رقم: ٢٦٦.
(٢) الألباني، صحيح النسائي، حديث رقم: (١٣٠٥).

وجل، وقد رتب الله تعالى على خشيته والخوف منها الخير الكثير، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[(١)]، قال ابن القيم رحمه الله: "قيل: هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه في الدنيا ومقامه بين يديه في الآخرة فيتركها لله"[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[(٣)]، قال ابن كثير رحمه: "يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس، فينكفُّ عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير"[(٤)].

---

(١) الرحمن:٤٦.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٠١).

(٣) الملك: ١٢.

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٩).

الوقفة السابعة عشرة: تعظيم الله مصدر السكينة والسعادة

من أعظم ثمار تعظيم الله تعالى وتوقيره حق قدره: السكينة القلبية، والطمأنينة النفسية، والسعادة الصادقة التي تغمر قلب المؤمن وتنعكس على حياته كلها، فكلما عَظُم الله في قلب العبد، عَظُمت سعادته، وازداد قربه ورضاه، وانصرف قلبه عن التعلق بما سواه.

إن معرفة العبد بربه عز وجل، وإدراكه لعظمة أسمائه وصفاته، وبثه حاجاته بين يديه، والانقياد لأمره، والبعد عما يسخطه كل ذلك يغذِّي في قلبه يقينًا وسكينة لا تُشترى بمال، وهذا المعنى يؤكده ما جاء في الحديث القدسي:" وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلَيّ بالنَّوافِل حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتِي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سأَلنِي أَعْطيْتَه، ولَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَّن"[(١)]. فمن اقترب من الله تعالى الذي بيده السعادة الحقيقية وأطاعه سبحانه واستجاب لأوامره ونواهيه نال منه قمة السعادة، ليست سعادة دنيوية عابرة فقط، بل كذلك

(١) صحيح البخاري، حديث رقم (٦٥٠٢).

سعادة أخروية أكمل وأبقى؛ جنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٖ**﴾[١]، قال ابن باز رحمه الله: فأهل الجنة ينعمون فيها وخالدون أبد الآباد، لا موت ولا مرض، ولا خروج، ولا كدر، ولا حزن، ولا حيض، ولا نفاس، ولا شيء من الأذى أبدا، بل في نعيم دائم وخير دائم.

---

(١) هود: ١٠٨.

الوقفة الثامنة عشرة: شكر اللّه تعالى ثمرة من ثمار تعظيمه

من أعظم صور تعظيم الله عز وجل، أن يشكر العبد نِعَم ربه عليه، ويعترف بفضله وجوده، فإن تعظيم المنعم لا يكتمل إلا بشكره، وإنكار النعمة أو الغفلة عنها من صور الجحود ونقص التقدير، وقد دلت الشريعة على صلة وثيقة بين التعظيم والشكر، فكما أوجبت شكر المخلوق على معروفه، فقد أولت شكر الخالق عناية أعظم، إذ هو المنعم الحقيقي الذي تفيض نعمه على العباد ليلًا ونهارًا، سرًا وعلانية، في الدين والدنيا، قال ﷺ: "ومن صَنَع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإنْ لم تَجِدوا ما تكافِئونَه فادْعُوا له حتى تَرَوا أنَّكم قد كافَأْتُموه"[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: "لا يَشْكُرُ اللهَ مَن لا يَشْكُرُ الناسَ"[٢]، وإذا كانت الشريعة السمحة أكدت على شكر المخلوق الذي يقدم معروفاً ولو محدوداً، فكيف بمن أسدى علينا نعماً لا حدود لها؟! أليس هو الأولى بالشكر!، وقد جاء القرآن الكريم بتوجيهات عدة تؤكد على العناية بشكر الله تعالى على نعمه، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ

(١) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (٥١٠٩).

(٢) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (٤٨١١).

لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[١]، قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ أمر الله تعالى بشكره، ووعده على شكره بمزيد الخير، فقال: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[٢]"[٣]، وقد ذمّ الله تعالى الغافلين عن شكره وهم كُثر، فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٤]، قال ابن القيم رحمه الله: "إن مقامَ الشكر جامعٌ لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا، والإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكراً، والشاكرون هم أقل العباد، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾"[٥]، ومن جميل الأدعية التي جمعت بين تعظيم الله وشكره، ما

---

(١) البقرة:٥٢.

(٢) إبراهيم:٧.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٦).

(٤) سبأ:١٣.

(٥) انظر بتوسع: مدارج السالكين، (١/١٥٢).

أوصى به النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه، فقال: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"[١].

(١) الألباني، صحيح أبي داود، حديث رقم: (١٥٢٢).

الوقفة التاسعة عشرة: الخوف من الله تعالى ورقة القلب من دلائل تعظيمه

من دلائل تعظيم الله تعالى في قلب العبد: أن يمتلئ قلبه خشيةً من ربه جل وعلا، وخوفًا من مقامه، ورقةً عند ذكره وتلاوة آياته، فهذه المشاعر الإيمانية لا تجتمع إلا في قلبٍ عظّم الله، وأدرك جلاله وعظيم سلطانه، وراقب نظره إليه في كل وقت وحين، قال تعالى في وصف المؤمنين حقًّا: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[١]، فالوجل من الله سبحانه، ورقة القلب عند سماع الذكر وتلاوة الآيات، وزيادة الإيمان والتوكل الصادق؛ هذه سمات قلبٍ عظّم الله تعالى، وخافه خوف تعظيمٍ وإجلال، لا خوف يأسٍ وقنوط، قال البغوي رحمه الله: "ليس المؤمنُ الذي يخالف الله ورسوله، إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، ﴿**ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ خافت وفَرَقَت قلوبهم، وقيل: إذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه، ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا**﴾ تصديقاً

(١) الأنفال: ٢.

ويقيناً، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾، أي: يُفوضون إليه أمورهم ويثقون به ولا يرجون غيره"[١].

وقد أثنى الله على عباده أهل الخشية ووعدهم بالمغفرة والأجر الكبير، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[٢]، ورقة القلب والخشوع والدمعة عند ذكر الله ليست علامة ضعف، بل ثمرة تعظيم حيٍّ في القلب، وقد قال ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ: وذكر منهم: وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خالياً، ففاضت عيناه"[٣].

---

(١) تفسر البغوي (٣/ ٣٢٦).

(٢) الملك: ١٢.

(٣) صحيح البخاري، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، (رقم: ٦٢٩)، صحيح مسلم، باب: فضل إخفاء الصدقة، (رقم: ١٠٣١).

الوقفة العشرون: الخوف من التقصير في العبادة دليل صدق تعظيم اللّه

من أصدق دلائل تعظيم الله تعالى في قلب العبد: خوفه من التقصير في حق ربه سبحانه وتعالى، وشعوره بالعجز عن أداء العبادة كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فكلما ازداد المؤمن معرفة بربه، ازداد حياءً وخشية، واستشعر تقصيره في جنب الله، مهما أتى من طاعات، ومهما اجتهد في العبادة.

وهذا الشعور لا ينشأ عن ضعف أو وسوسة، بل عن صفاء القلب، وصدق الإيمان، وتعظيم عظمة الله تعالى الذي لا تحيط به العقول، ولا يوافي حقه شيء من العمل مهما عظم، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ**﴾[1]، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: يُعطون العطاء وهم خائفون ألا يُتقبل منهم، لخوفهم أن

(١) المؤمنون: ٦٠.

يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط"(١).

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ"(٢).

ومن المؤكد فإن الوجل من عدم القبول مع كثرة الطاعة، هو من علامات الإيمان الحيّ، وتعظيم القلب لله العظيم، ورجاء القبول منه سبحانه، مع الاتهام للنفس بالتقصير مهما اجتهدت.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤١٨).

(٢) سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، مُحَمَّد فؤاد، (رقم: ٣١٧٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي وفّق لإتمام هذه الوقفات العشرين في تعظيم الله تعالى، ذلك المقام الجليل الذي هو لبّ العبودية وروح الطاعة، وأساس كل خير في دين العبد ودنياه وآخرته.

قد سعيتُ - بجهد المقل - أن تكون هذه الوقفات ومضات توقظ القلوب، وتُحرّك المشاعر، وتبعث الإحساس بجلال الله ﷻ وعظيم شأنه؛ إذ بقدر ما يعظم العبدُ ربَّه، يكون صدق إيمانه، وصلاح عمله، وطمأنينة قلبه، وسعادة حياته.

وليس تعظيم الله عز وجل مجرد شعور قلبي أو انفعال وجداني، بل هو حقيقة راسخة تظهر في الجوارح والسلوك: في الصلاة والذكر، وفي الطاعة والأدب، وفي الأقوال والأفعال، وفي الخُلق والخضوع، والرضا واليقين، في السر والعلانية، والرخاء والشدة.

أسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا تعظيمه في كل حال، وخشيته في الغيب والشهادة، ومحبته وطاعته وإجلاله كما يحب

ويرضى، وأن يجعل ما كتبته وما يقرأه القارئ زادًا إلى رضاه، وقربًا من جنّته، وسبيلاً لتعظيمه في القلوب، وإجلاله في النفوس.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهرس